التّأليف الصوتي في القرآن الكريم
(دراسة تطبيقية لسورة آل عمران)

الأستاذة : فاطمة حجّاري

1/ المنهج الصوتي لائتلاف الأصوات في اللغة العربية

تجنح العربية إلى طلب الخفة في صياغة كلامها، وتحرص على سلامة نسيجها من كل ما يجعله ثقيلا ومنفِّرا ؛ وما ظواهر الإبدال والإدغام والحذف وغيرها إلا سبيلٌ ،اتَّخذته العربية فرارا من النُّفرة وطلبًا للخفة .

غير أنه وقبل أن تسنح الفرصة لمثل هذه الظواهر لعمل عملها ، فإن اللُّغة العربية اهتمت بتأليف الأصوات داخل بنية الكلمة ، بل وسعى علماء العربية إلى ضبط معايير هذا الائتلاف، وأدرجوا ذلك كله ضمن حسن التَّأليف؛ وعدُّوا من شروط فصاحة المفرد ،خلوصه من تنافر الحروف،إذ بسببه تكون الكلمة متناهية في الثقل على اللسان ويعسر النطق بها ، ومنه ما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته، فقال تركتها ترعى **الهعخع**[1].

وإن كان معيار هذا الحكم يرجع بالنهاية إلى الذَّوق ،ووقْع الكلمة في أذن السَّامع وقلبه؛ ولا يوجد أحسن من النَّص القرآني مراعاة للخفة والذَّوق والموسيقية في تأليف كلماته، وذلك ما سنحاول استكشاف شيئ منه، على أنه ينبغي بداية التَّعرف على منهج العرب في ائتلاف أصواتها . أشار علماء العربية إلى ضرورة مراعاة الانسجام بين أصوات الكلمة وقدَّموا في ذلك أفكارا مهمة ورائدة ،**فالخليل** (ت**175**هـ) رفض تجاور الحاء والعين في كلمة واحدة يقول :" **لولا بحة في الهاء لأشبهت العين؛ فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة، و كذلك الهاء؛ ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو قولهم:حيَّهل.**"[2] فهما لايأتلفان في كلمة أصلية الأصوات لقرب مخرجيهما[3].

فقُرب المخارج مدعاة للنُّفرة والثقل في الصِّيغة، وقد فصَّل**ابن دريد**(ت**321**هـ) في ذلك تفصيلا دقيق فقال"**اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق**

---

[1]- القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط3،1414هـ/1993م، ص1/22،23.

[2]- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،ص 1/153

[3]- تهذيب اللغة ص1/65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا أو حركات مختلفة ؛ ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء ،فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاءا في بعض اللغات لقربها منها ؛نحو قولهم في:(آم والله) ، هم والله وكما قالوا في (أراق) هراق، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاءا...وإذا تباعدت مخارج الحروف حسُن وجه التَّأليف...واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لصعوبة ذلك عليهم؛ وأصعبها حروف الحلق ، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل أخ"[1].

ففي الجمع بين أصوات متقاربة المخرج تكليفُ اللِّسان جُهدا كبيرا، إذ يظل اللسان يعمل في منطقة واحدة في فترة زمنية متقاربة ، ودون وجود فاصل وفي ذلك من الإجهاد الكثير.

وزاد **السبكي** على ذلك ، مانقله عنه **السيوطي(ت911هـ)** ،" **بأن الكلمة تَخِف وتَثقُل بحسب الانتقال من صوت إلى صوت لا يلائمه قربا أو بعدا** "[2]؛ وقد قسَّم المخارج إلى ثلاثة مجموعات ،العليا ، الوسطى ،والدنيا ، وجاء بإثني عشرة تركيبا على النحو التَّالي :

الأول– الإنحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو(ع د ب)

الثاني– الإنتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط،نحو (ع ر د).

الثالث– من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى،نحو(ع م هـ).

الرابع – من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو (ع ل ن).

الخامس–من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى ، نحو (ب د ع) .

السادس–من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط ، نحو(ب ع د).

السابع – من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى ،نحو(ف ع م).

الثَّامن – من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى ، نحو (ف د م).

التاسع – من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى ، نحو(د ع م).

[1]– ينظر:جمهرة اللغة ،ص09/1.
[2]–ينظر:المزهر ،ص156/1

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العاشر– من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، نحو (د م ع).

الحادي عشر – من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو (ن ع ل).

الثاني عشر – من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط ، نحو(ن م ل)[1].

فالواضح من هذه التراكيب ،الحِرص على عدم الجمع بين الأصوات المتقاربة في المخرج، وإيثارهم بناء الكلام من أصوات متباعدة المخارج ، يقول **ابن جني (ت392هـ)**: "**وإذا اختلفت أحوال الحروف حَسُن التَّأليف**"[2]؛ وخلُص إلى أن الأصوات في التأليف على ثلاثة مراتب : "**أحدهما** : تأليف المتباعد وهو الأحسن.

والآخر: تضعيف الحرف نفسه ، وهو يلي القسم الأول في الحسن .

والآخر: تأليف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأوَّلين ،فإما رُفض البتة، وإما قلَّ استعماله."[3] لذلك فأحسن التأليف مابوعد فيه بين الحروف. [4]

ذلك أن نطق صوتيين متقاربين ،أو متجاورين ينجرُّ عنه ،إضافة إلى الثِّقل أن يكون الصَّدى والجرس المنبعث منهما واحدا ،ففي نطق اللسان صوتا بعيد المخرج عن الصوت الأول ،اختلاف في الصدى وتَنوُّع في الصوت والموسيقا .

وهذا ما أكَّده **ابن سنان الخفاجي (ت466هـ)** إذ نصَّ "**على أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ...و**علة هذا واضحة ،وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السَّمع **مجرى الألوان من البصر ، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ،ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصُفرة ،لقرب مابينهما وبين الأصفر وبعد مابينه وبين الأسود ، وإذا كان هذا موجودا في الصِّفة لا يَحسُن النزاع فيه ،كانت العلة في حُسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا مُزجت من الألوان المتباعدة.**[5]"

ويقصد ابن سينان في هذا النَّص الكشف عن الاتفاق في طبيعة التناسب في كل من الشعر والرسم ،ومادامت الألوان المتباينة –في تقديره–أفضل من الألوان المتقاربة، لأن الضد يُظهر حُسنه الضِّد ، فلابد أن تكون اللوحة التي تجمع بين ألوان متباعدة يقع بينها تَجانس ،أحسن منظرا من الأخرى التي تتشكل من ألوان متقاربة ،وكذلك الأصوات في الكلمات تَخضع للمبدأ

---

[1]– المزهر،ص 157/1.
[2]– الخصائص،ص 57/1.
[3]– سر الصناعة،ص431/2.
[4]– ينظر: نفسه ،ص429/2.
[5]– الخفاجي ،سر الفصاحة ،ص64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نفسه ؛كلما تباعدت مخارجها كانت أحلى في السمع ،من الأصوات التي تتقارب مخارجها ، فحال الأصوات شبيه بِحال الألوان سواء بسواء .[1]

على أنه يمكن أن يُضاف إلى الاعتبار العضوي و المخرجي ،اعتبار القيمة الصَّوتية من تفخيم وترقيق،"**فيمكن بهذا أن ندَّعي مثلا ندرة تجاور أحد المطبقات مع أحد الغاريات وهي أشد الحروف استثقالا**". [2]

وقد قدَّم **الجاحظ(ت255هـ)** بدوره إسهامات في هذا الباب بل هو أول البلاغيين الذين تنبهوا إلى هذه القضية ، حيث تناولها في كتابه البيان والتبيين ، عندما تناول الاقتران بين الحروف والألفاظ ،مما قد يحدث بينهما تنافر ،فذكر "**أن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذَّال بتقديم ولا تأخير**"[3] .

وغير بعيد عن ذلك ميز **الرماني (ت386هـ)** بين التلاؤم في القرآن والتلاؤم في كلام الناس ، وذلك بإضافة مرتبة ثالثة عليا إلى الطرفين الذين تحدث عنهما الجاحظ في مبحث الاقتران (التنافر والتلاؤم) فقال :"التلاؤم نقيض التنافر ، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، والتأليف على ثلاثة أوجه ، متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا "[4]

قال الإمام **أبي الحسن الرماني** : "**مخارج الأصوات مختلفة ، منها ما هو من أقصى الحلق ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك ،والسبب في التلاؤم، تعديل الأصوات في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما وأمّا التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ، فإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المشي المقيد لأنّه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه ،وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال**"[5].

---

[1]– ينظر: مصطفى السعدني،البناء اللفظي في لزوميات المعري(دراسة بلاغية تحليلية) منشأة المعارف الإسكندرية ،دت ص32،33 نقلاعن ،جابر عصفور ، مفهوم الشعر ص224،224.

[2]– اللغة العربية معناها ومبناها ،ص270.

[3]– الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص52/1.

[4] - النكت في إعجاز القرآن –ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – ص270–271 ،نقلا عن محمد العمري ،الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية ،إفريقيا الشرق ،لبنان ،2001،ص109.

[5] - ينظر:الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت 386هـ) ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتعليق : محمد زغلول سلام ، محمد خلف الله أحمد ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ،ص26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأن تكون حروف اللفظة متآلفة غير متنافرة ،شرط أساسي لفصاحتها ، وذلك بأن تكون سهلة في النطق ،غير ثقيلة في السَّمع ، وتكون متلائمة إذا كان الانتقال في النطق من حرف إلى حرف معتدلا ، أي لا تكون مخارجها قريبة من بعضها قربا شديدا ، ولا بعيدة بعدا شديدا .

ثمَّ إنَّ البحث في تأليف الأصوات لم يقتصر على النحاة والبلاغيين وإنما تعداه إلى علماء التعمية ، فقد توصَّلوا إلى حصر الثنائيات التي لا تأتلف من الأصوات العربية على سبيل الإحصاء لا الانتقاء؛وانتهوا إلى تقسيم الأصوات حسب تجاور بعضها مع بعض إلى :

1 -مالا يقارن بعضه بعضا بتقديم ولا بتأخير .
2 -مايقارن بتقديم.
3 -ما يكرر من الحروف في أوَّل الكلمات. [1]

فذكروا مثلا" **أنَّ الثَّاء لا تقارن، الذال ولا الزاي ولا الصاد والضاد ولا الظاء ولا السين بتقديم ولا تأخير**" .[2] ولعل ذلك نتيجة لاتحادها في المخرج مع هذه المجموعة من الأصوات.

"**أما الراء مثلا فإنَّها تتصل بجميع حروف المعجم بالتقديم والتَّأخير ولا يعرض لها ما يعرض لغيرها من الحروف الأصلية التي لا تتغيَّر أبدا**". [3]

إن جهود القدماء هذه، ابتداءً من التراكيب التي قدمها **السبكي** وانتهاءً بجهود علماء التَّعمية **كالكندي وابن عدلان**،عزَّزتها الدراسات الحاسوبية الحديثة ؛فقد أبرزت الإحصاءات التي أجراها الباحثون المحدثون ميل الأصوات المتقاربة المخارج إلى عدم التَّتابع في سياق الكلمة العربية ولاسيما أصوات الشفتين وأصوات الحلق وأصوات وسط الفم ،ودلَّت على أن أقل الثنائيات التي يتركب منها الكلام العربي هي التي تتكون من صوتين شفهيين أو حلقيين أو شفهي و حلقي .[4]

وعموما فإنَّ قواعد تتابع كل صوت مع باقي أصوات العربية التي قدمها علم التعمية، تُعد عملا مميزا ورائدا، نتيجة تطابقها شبه التَّام مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة .[5]

---

[1]- ينظر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ص 132،136 وغيرهما كثير.
[2]- نفسه،ص241.
[3]- نفسه ،ص248.
[4]- ينظر: أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ،ص126.
[5]- ينظر: علي حلمي موسى ،دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ، ص29 وغيرها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن العربية حرصت على الاعتدال في عدد الأصوات التي تتألف منها بنيتها وكان **الخليل** يرى أن أبنية الكلمات ثلاثية، و رباعية وخماسية ، لا تقل عن ثلاثة أصوات" **حرف يبتدأ به وحرف يحشى به الكلمة وحرف يوقف عليه**" .[1] ويرى **ابن جني** "**أن الثلاثي أخف الألفاظ في الكلام، وأنَّ الكلمات كلما كثرت حروفها زاد ثقلها، ومن ثم يثقل استعمالها**" [2].

ولم يختلف رأي المحدثين عما قدمه القدامى يقول **هنري فليش** "**وفي العربية عدد قليل من الأصول ذوات الصامتين أي الثنائية وهي مقتصرة على سبع وثلاثين كلمة هي في ذاتها أصولها وذلك نحو** (يد...) **وهناك عدد كبير من الأصوات ذات الصَّوامت الأربعة أي الرباعية ،وهي مُسجَّلة في المعاجم ،ولكن بعض الإحصاءات التي أُجريت على النَّص القرآني كشفت عن وجود خمسة عشر أصلا رباعيا فحسب مقابل ألف ومئة وستين 1160 أصلا ثلاثيا ، وهي نسبة ضعيفة في نص يُعتبر أساسيا في تراث اللغة ... والجانب والأكبر من المفردة العربية يأتي من أصل ذي ثلاثة صوامت** "[3] .

فقلة الرُّباعي في العربية وإهمال العرب للخماسي-إلا قليل—،سببه النُّفرة من الاستثقال وطلب الخفة. ومن هنا قرَّر الدَّارسون القدامى والمحدثون، أنه كلما كثرت أصوات الكلمة قلَّ استعمالها. [4]

فمن الرباعي المجرد في **سورة آل عمران** وردت كلمة واحدة فقط ،هي صيغة (**مقنطرة**) في قوله تعالى﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾.[5]

كما أنَّ للحركات دخلا في تنافر الكلمة أو عدم تنافرها ، فقد تكون اللفظة هي هي لكن تغيير الحركة قد يؤدي إلى ثقلها على اللسان بخلاف المبنية على حركات خفيفة ، فخفة الحركات تؤدي إلى سرعة نطقها من غير عناء ولا كلفة ، فإذا ما التقت حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستكره ، ولم تثقل بخلاف الحركات الثقيلة، فإذا توالت اثنتان منهما في كلمة واحدة استكرهت واستثقلت لما يعانيه ناطقها من عسر ومشقة ولذا ثقلت الضمة على الواو ، والكسرة على الياء ، لأن الضمة من جنس الواو ، والكسرة من جنس الياء وتتفاوت مراتب الحركات خفة وثقلا من حيث هي، فالفتحة أخف الحركات وتليها الكسرة. [6]

---

[1]- الخصائص ص،55/1.

[2]- نفسه ،ص55/1،61.

[3]- هنري فليش ، العربية الفصحى ،ص 53.

[4]- ينظر: بلقاسم بلعرج ، لغة القرآن الكريم ،ص151

[5] - من الآية(14) من سورة آل عمران.

[6] -عبد الواحد حسن الشيخ ، التنافر الصوتي والظاهر السياقية ، مطبعة الإشعاع الفنية،ط1419،1هـ/1999م،ص13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالفراء(ت207هـ) مثلا لا يعتمد في تعليله على قواعد النحاة فقط، وإنّما يرجع إلى الحس اللغوي والذوق الصوتي، كما يبدو في تعليله لخفض الدال من الحمد يقول : "**هذه كلمة كثُرت على ألسن العرب حتّى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمّة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل : إبِل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم**"[1]. والحق أنّ هذه الحركات المنسجمة وإن تعارضت مع الإعراب في حالة كسر الدال إلاّ أنّ لها وجها مقبولا ، إذ أنّ هذا التركيب لمّا كثُر تداوله عند العرب جعل هذا التركيب مثل الكلمة الواحدة ، ولا شكّ أنّ الكلمة الواحدة يستثقل فيها الانتقال من ضمّة يتلوها كسرة أو العكس فآثروا الكسرتين حينا مع أنّ الحمد مبتدأ مرفوع[2].

هذه هي أهم القواعد التي اختارتها العربية لتأليف كلماتها وبناء نسيجها وهي في ذلك مدينة للقرآن الكريم كونه أرقى نص ورد بها، وكونه استوعب كلام العرب كله، وهذا ما سنعمل على استكشاف شيء منه.

2/ المنهج الصوتي لائتلاف الأصوات في سورة آل عمران:

سنعتمد في هذا العنصر على الضوابط العامة التي اعتمدها **إبراهيم أنيس** لتنافر الأصوات في اللغة العربية ،ذلك أن عمل القدامى وعلى الرغم من دقته؛ إلا أن مفهوم تجاور الأصوات عندهم كان غير واضح ؛فقد بنوا قواعدهم على مطلق التجاور، في حين أن الدراسات الصوتية الحديثة تُفرق بين التَّجاور التَّام للأصوات وبين التجاور غير التَّام ؛ لهذا يرى إبراهيم أنيس :"**أن شيئا هاما قد فات هؤلاء القدامى ولم يفطنوا إليه وهو أنه لمعرفة ثقل الحروف في تواليها يجب أن تذكر دائما أن المجاورة بين الحرفين يجب أن تكون مباشرة فلا يفصل بينهما بحرف أو حركة**"[3].

وعمل الدراسات الحاسوبية،على الرغم من دقته إلا أنه عمل إحصائي مجاراته تتطلب عمليات رياضية وإحصائية،وذلك مما هو غير ميسَّر الآن ويحتاج إلى دراسة خاصة.

والضوابط التي سنعمل على تتبعها في النص القرآني هي كالتالي:

- ✓ – ندرة تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض ،بل لا يكاد يلتقي فيها إلا العين والهاء ،ونرى العين أسبق دائما مثل (يعهد) فإذا اتصل بالكلمة ضمير الغائب المتصل نرى كلا من أصوات الحلق يمكن أن يجاور هذه الهاء مثل : يمدحه ويبلغه ويسلخه .
- ✓ – ندرة تلاقي الأصوات القريبة المخرج أو الصفة.

[1] - الفراء ، معاني القرآن ،ص 03/1.

[2] - أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم 1 : النظامين الصوتي والصرفي الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، دط ، 1978،ص189

[3] – ينظر:إبراهيم أنيس،موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية ،ط2، 1952ص 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– فتلاقي اللام والراء والنون بعضها ببعض لا يكاد يوجد في اللغة العربية .
– وكذلك تلاقي الميم والفاء والباء بعضها ببعض غير معروف في تراكيب الكلمة العربية .
– ندرة التقاء صوتين من أصوات الصفير، أو بعبارة أدق من تلك الأصوات الكثيرة الرَّخاوة مثل: الزاي– السين – الذال– الثاء – الشين [1].

ندرة التقاء صوتين من أصوات الإطباق أو التقاء صوت واحد مع نظيره غير المطبق.

– التقاء أصوات أقصى الحنك بعضها مع بعض نادر أيضا في اللغة العربية وتلك هي : القاق –الكاف–الجيم القاهرية .
– التقاء أصوات وسط اللسان نادر أيضا ، مثل الجيم (المعطشة)مع الشين [2].

وفي ضوء هذه المعايير فإن التَّلاؤم وعدم التنافر في **سورة آل عمران** يتحقق كالتالي:

ندرة التقاء أصوات الحلق*[3]: وهي (الهمزة– الهاء– العين– الحاء –الخاء –الغين) وفي **سورة آل عمران** لم يتم الالتقاء بين هذه الأصوات،وإن تم فإنه لا يكون التقاءا مباشرا.

الهمزة مع الهمزة: ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ﴾[4]، ﴿ أُؤَنَبِّئُكُمْ﴾[5]، ﴿أَأَسْلَمْتُمْ ﴾[6] ،وإن كان التقاؤهما غير مباشر، حيث فصل صائت الفتح القصير بينهما .

وتجاورت **الهمزة مع الهاء** تجاورا غير مباشر أي بوجود فاصل، عادة ما يكون صائتا ، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ جَزَاؤُهُمْ ﴾،[7] ﴿ جَاءَهُمُ﴾[8].

أما في قوله تعالى ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾[9]؛ فالتجاور مباشر بين الهمزة والهاء على الرغم من اتحاد مخرجيهما ،وهذه هي الحالة التي التي تتصل فيها الكلمة بضمير الغائب ،فعلَّة هذا الاتصال نحوية دلالية .

---

[1]– نفسه ،ص28
[2]– موسيقى الشعر ،ص28
*–تمَّ الجمع بين الأصوات الحنجرية والأصوات الحلقية والأصوات الأقصى حنكية من منطلق التقارب الشديد في مخرجها، واشتراكها في الحيز.
[4]– من الآية(81) من سورة آل عمران .
[5]– من الآية(15) من سورة آل عمران .
[6]– من الآية(20) من سورة آل عمران .
[7]– من الآية(87) من سورة آل عمران .
[8]– من الآية(105) من سورة آل عمران .
[9]– من الآية(120) من سورة آل عمران .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واتصلت **الهمزة بالخاء** في مثل قوله تعالى: ﴿الآخِرَةِ﴾[1]،﴿أُخْرَاكُمْ﴾[2]﴿أَخَذْتُمْ﴾[3]، ﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾؛[4] وكله إنما تمَّ بوجود بوجود فاصل.

هذه هي الأصوات التي وردت مجاورة للهمزة، أما باقي أصوات الحلق، فلا تتبع الهمزة لا بتقديم ولا بتأخير "**فحرف (أ) لا تتبعه الأحرف** (أ،ع،غ) ،**ولا تسبقه الأحرف** (أ،ح،خ،ع،غ) **وفي هذا ينفرد حرف (أ) بأنه الوحيد في اللغة العربية الذي لا يتكرر في موقعيين متتالين في الجذر الواحد باستثناء الجذر الثنائي (أأ) على حين تتكرر باقي الحروف، وأيضا حرف (أ) لا يتبع أو يسبق حرفي (ع،غ)**[5].

الهاء : صوت الهاء يتكرر مع نفسه في قوله تعالى ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾،[6]﴿ وُجُوهُهُمْ ﴾ [7]

واتصلت **الهاء بالعين** ،اتصالا غير مباشر في قوله تعالى ﴿بِعَهْدِهِ﴾[8]،أما بقية الأصوات الحلقية فلم يرد اتصالها مع غيرها من الأصوات ،ممن تدانيها أو تشترك معها في المخرج، سواء أكان الاتصال مباشرا أم غير مباشر .

ندرة تلاقي الأصوات القريبة المخرج أو الصِّفة :

في اللام والرَّاء والنون : نظرا لما تتميز به هذه الأصوات من خصائص صوتية فإنها ترد مع جميع الأصوات" فلا يتنافر مع أي منها صامت بعينه في كل حالات الجوار القريب ولا يشترك معها في التنافر أي صامت في الجوارين : القريب والبعيد؛ وينفرد صوت النون عنها في إمكان وقوع الصَّوامت كلها معه في الجوار البعيد، أيًّا كان موقع الصامت في الفعل "[9].فصوت الراء هو الوحيد الذي يشترك تتابعا مع جميع الأصوات الأخرى، ولذلك فهو أقوى الأصوات ترددا .

---

[1]– من الآية(85،77) من سورة آل عمران.
[2]– من الآية(153) من سورة آل عمران .
[3]– من الآية(81) من سورة آل عمران .
[4]– من الآية(168) من سورة آل عمران .
[5] – دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ،ص29.
[6]– من الآية(118) من سورة آل عمران .
[7]– من الآية(107،106) من سورة آل عمران .
[8]– من الآية(77) من سورة آل عمران.
[9]– وفاءكامل فايد، تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح (دراسة استقصائية في القاموس المحيط)،عالم الكتب، القاهرة، دت، ص105

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أن هذه الأصوات الثلاثة تتنافر مع بعضها بعض ،ووجودها متجاورة في **سورة آل عمران** يظهر في الآيات التالية ﴿لَتَنْصُرُنَّهُ﴾[1]، ﴿كُفْرًا لَنْ﴾ ،[2] ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ﴾[3]،وهذه المواضع لم يتصل الصوتان فيها اتصالا حقيقيا ، فصائتي الفتح والضم على على التوالي قد ساهما في إلغاء هذا التجاور ،مما لايُجيز القول بالتقاءهما التقاءً ثقيلا ومنفرا .

أما في قوله تعالى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[4]،﴿مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[5]،﴿اغْفِرْ لَنَا﴾[6]؛ فقد اتصلت كل من النون والراء في الآيتين الأولى والثانية ،والراء والام في الآية الأخيرة اتصالا مباشرا؛ إلا أن العربية تخلصت من هذا الاتصال غير المستحب بما يعرف بالإدغام بغنة .

تلاقي الميم والفاء والباء بعضها ببعض غير معروف في تراكيب العربية[7] :

وفي الحقيقة فإن هذا الحكم فيه شيء من المبالغة ، ذلك أنَّ المعاجم العربية نصَّت على وجود تراكيب يَجتمع فيها صوتان من الأصوات الشفهية ،وإن كان كل من صوتي الفاء والباء لا يقعان في جوار قريب، والصوتان يشتركان في الحيز وصفة الانفتاح.

وفي سورة آل عمران لم يرد مثل هذا الالتقاء إطلاقا ،وقد ذكر بعض الدارسين "**أن الميم يشترك في التنافر مع كل من الأصوات الثلاثة في حالات الجوار القريب ،حين يقع الصوت فاء للفعل ،أوعينا له مسبوقة بالميم ،أولاما له**"،[8]وإن تواجد تواجد في **سورة آل عمران** ؛ ولكنه اتصال غير مباشر وذلك في قوله تعالى﴿بِمَفَازَةٍ﴾ ،[9] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾[10]

ندرة تلاقي أصوات الصفير:

يشترك صوت الزاي مع السين في الرخاوة والانفتاح ،وينفرد عنه بالجهر ،ويشترك الصاد مع السين في الرخاوة والهمس ، وينفرد عنه بالإطباق ،والأصوات الثلاثة تشترك في صفة الصفير المميزة لهذه المجموعة ؛ وهذه الأصوات لم ترد متصلة مع بعضها

[1]– من الآية(81) من سورة آل عمران .
[2]– من الآية(90) من سورة آل عمران .
[3]– من الآية(129) من سورة آل عمران.
[4]– من الآية(133) من سورة آل عمران .
[5]– من الآية(136) من سورة آل عمران.
[6]– من الآية(147) من سورة آل عمران.
[7]– موسيقى الشعر ، ص28
[8] – تراكب الأصوات ،ص 110.
[9] – من الآية(188) من سورة آل عمران .
[10]– من الآية(159) من سورة آل عمران .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البعض لامن قريب ولامن بعيد في **سورة آل عمران**؛ سوى أن **السِّين** تكررت مع نفسها مع وجود الصَّائت كفاصل بينهما في صيغة واحدة هي ﴿يَمْسَسْهُمْ ﴾[1].

ندرة إلتقاء صوتين من أصوات الإطباق أو التقاء صوت واحد منها مع نظيره غير المطبق:

فأما التقاء صوتين من أصوات الإطباق فورد من هذا الباب في **سورة آل عمران**، صيغة ﴿اصْطَفَى﴾في ثلاثة مواضع[2]؛ وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة بمدى ائتلاف الأصوات في السورة الكريمة. وتكررت الصاد مع نفسها من غير تجاور تام في لفظة (**القصص**) من قوله تعالى﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] .

ولعل ندرة وقوع هذا الالتقاء إنما ناجم عن صعوبة النطق بالصوت المطبق ،لما يتطلبه نطقه من التفخيم وما ينجر عنه من عمليتي الإطباق والتحليق ،فالنُّطق بصوت مطبق واحد مكلف ،فما بالك النُّطق بصوتين يشتركان في هذه الصفات إضافة إلى عدم وجود فاصل بينهما .

التقاء أصوات أقصى الحنك: (القاف ، الكاف)

ولم نَتلمَّس له وجودا في **سورة آل عمران**، فمخرج كل من القاف والكاف واحد، إذ القاف صوت لهوي يتم نطقه برفع مؤخر الطبق ،حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة ؛والكاف يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي.[4]وعلى الرغم من اشتراك كل من القاف والكاف في الشدة والهمس ،إلا أن القاف يتميز بقيمة تفخيمية في حين أن الكاف مرقق ،فكل هذه العوامل الصوتية تجعل من اتصال القاف والكاف أمرا ثقيلا على اللسان .

وكذلك فان التقاء أصوات وسط اللسان (الجيم المعطشة مع الشين) أمر غير وارد في **سورة آل عمران** وذلك نتيجة للتقارب المخرجي بين الصوتين .

ويمكن أن نلخص نتائج ما سبق فيما يلي :

- التقارب بين المخارج هو أهم ما يجب تجنبه غي تأليف الأصوات في العربية .
- تأليف الأصوات من أصوات متباعدة بدرجات مقبولة هو أهم طرق العربية في التأليف بين أصواتها .

[1]– من الآيات(47،120،174) من سورة آل عمران .
[2]– من الآيات(21،33،42) من سورة آل عمران.
[3]– من الآية(64) من سورة آل عمران .
[4]– مناهج البحث ،ص124.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– هناك أصوات لا يحدث تجاورها تنافرا شديدا ، إلا أن حالات تقاربها تبقى حالات قليلة نادرة .

– استوعبت سورة آل عمران طرائق العربية في تأليف أصواتها بل زادت على ذلك احتوائها على بعض الحالات القليلة النادرة ،وإن كان مجيئها في وسط النسق الصوتي يجعلها تضفي نوعا من الموسيقية التي يمتاز بها القرآن الكريم عن سواه.

– العلة الأساس لتنافر الأصوات هي تقارب المخارج ينضاف إليها اختلاف الصفات الأساسية من إطباق وانفتاح من تفخيم أو ترقيق أما الصفات العامة فلا دخل لها في إحداث التنافر أو الانسجام.

وعلى العموم فمهما حاولنا البحث أو الاستقصاء فلن نجد أي شكل من أشكال التنافر بين الأصوات في القرآن الكريم عموما ،وفي سورة آل عمران خصوصا باعتبارها مدونة الدراسة؛ إذ أن أصواته تتميز بحسن التلاؤم مع بعضها[1]، فقد نزل بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها ،وأوضحها ، وأثبتها ، وأمتنها. [2]

ومما يتميز به أيضا عن الكلام البشري لحنه الموسيقي الغريب ، فهو لا يشبه أي لحن آخر ، وأوضح دليل على ذلك،أن تسمع للقرآن وسط مجموعة من الأصوات الأخرى فستجد له لحنا مميَّزا لا يمكن أن يلتبس عليك بغيره ، حتى ولو لم تفهم منه شيئا [3] .

وليس أدلَّ على إعجاز القرآن في أسلوبه ،وانبهار العرب ودهشتهم لذلك التنغيم في التنظيم ،أي تنظيم الأصوات والكلمات والعبارات ،أن من عارضه كمسيلمة الكذَّاب جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه ،فصبَّ اهتمامه على موسيقى العبارة ،وطوى عمَّا وراء ذلك من التَّصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ،ودقائق التركيب البياني ،وكأنه فطن إلى أن الصَّدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في موسيقى القرآن ،في أوزان الكلمات ،وأجراس الحروف دون ما عداها. [4]

[1] – ينظر:المعجزة القرآنية،ص110

[2] – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الحكيم ،ص67/1.

[3] – المعجزة القرآنية ،ص113.

[4] -الرافعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص214

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع:

1 الأزهري، تهذيب اللغة، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1 2004

2 إبراهيم أنيس،موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية ،ط2، 1952

3 أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، القسم 1 : النظامين الصوتي والصرفي الدار العربية للكتاب ، ليبيا، تونس ، دط ، 1978

4 بلقاسم بلعرج، لغة القرآن الكريم" دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول"، دار العلوم، باتنة، دت.

5 بلقاسم بغدادي ،المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت

6 أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق . سورية ،ط1996،1ط2 ،1999م .

7 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء . المغرب ، 2001

8 تمام حسان ،مناهج البحث، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986.

9 ابن جني، أبي الفتح (ت392ه) ، الخصائص،تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب،بيروت، دط،دت

10 ابن جني، ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007.

11 الجاحظ أبو عثمان (255ه) ،البيان والتبيين ، تحقيق : درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط2، 1421ه/2000م.

12 الخفاجي سعيد بن سنان (ت 466ه) ،سر الفصاحة،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1 ، 1998

13 ابن دريد أبي بكر محمد (ت: 321ه)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت،دط، دت .

14 الرافعي ،مصطفى صادق ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية الرافعي ،دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ،دط،دت .

15 الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (ت 386ه) ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتعليق : محمد زغلول سلام ، محمد خلف الله أحمد ، دار المعارف ، مصر، ط3

16 السيوطي،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبطه وصححه ووضع حواشيه، فؤاد علي منصور،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1 ،1998.

17 الطيان محمد حسان،محمد مرياتي ،يحي مير علم ، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، تقديم شاكر الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، دط دت

18 علي حلمي موسى،دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1978 .

19 عبد الواحد حسن الشيخ ، التنافر الصوتي والظاهر السياقية ، مطبعة الإشعاع الفنية،ط1419،1ه/1999م

20 الفراء ،أبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله (ت207ه)، معاني القرآن ، عالم الكتب بيروت، ط1 ،1955 ، ط2، 1980.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21 الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:817ه) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار مطبعة نهضة مصر ط2، جمادى الآخرة 1406ه/ فبراير 1986م

22 القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط3،1414ه/1993م

23 محمد العمري ،الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية ،إفريقيا الشرق ،لبنان ،2001،ص109

24 مصطفى السعدني،البناء اللفظي في لزوميات المعري(دراسة بلاغية تحليلية) منشأة المعارف الإسكندرية.

25 هنري فليش، العربية الفصحى العربية الفصحى –نحو بناء لغوي جديد–، تعريب وتحقيق :عبد الصبور شاهين،ط المشرق، بيروت،ط2 ، د.ت

26 وفاءكامل فايد، تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح (دراسة استقصائية في القاموس المحيط)،عالم الكتب، القاهرة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com